الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
برنامج عودة إلى الماضـي

الحلقة الخامسة والعشرون

مقدمة البرنامج...

مؤثرات.....

سعيد: " في انفعال " لم يعد في وسعي أن أتحمله يا سالم.

سالم: هلا حاولت يا سعيد أن تتعرف إلى سبب الأخطاء التي يرتكبها؟

سعيد: وما الذي يجبرني على إعنات نفسي وتحميلها ما لا ضرورة لتحميلها إياه.

سالم: ألا تعلم يا سعيد أنه من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم؟

سعيد: " في انفعال أيضاً " ولكنه أتعبني يا سالم !

سالم: حسن جداً.. هل توافق معي أن عبد الكريم رجل طيب.

سعيد: هو طيب ما في ذلك ريب ولكنه ضائع. وضياعه يضر بي.

سالم: أنت بين أمرين: فإما بذلت بعض الجهد فعرفت أسباب تشتت تفكيره وضياعه فقاربته بلطف وساعدته وأنقذته كما أنقذت مصلحتك.. وإما أهملت شأنه وأخرجته من دائرة عمله فضيعت أسرته وأتيت بشخص جديد لا تدري ما سيكون حظك معه.. ألا ترى بأن حماية إنسان والحفاظ على أسرة يستحقان منك بعض التضحية؟ أوَليست هذه التضحية بعض ما يتصدق به الأقوياء على ذوي الحاجة؟ أوَلا تكسب بمساعدتك له ثواباً من الله وعرفانا بالجميل من قبله ثم إحساساً بالرضى عن نفسك؟

سعيد: الحقيقة أنك تسكتني بهذا الأسلوب.. فأنا لم أعد أدري ما أقول لك.

سالم: بل تستطيع أن تقول كثيراً.. وتقول خيرا.. وأنا واثق بأنك ستكون الرابح في هذه الصفقة التي أعرضها عليك.

طرق على الباب.....

سعيد: ادخل..

أبو سالم ومساعد: السلام عليكما ورحمة الله.

سعيد وسالم: وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته..

سعيد: أهلا بكما.. زيارة مباركة إن شاء الله.

أبو سالم: كيف حالك يا أخ سعيد؟

سعيد: الحمد لله.

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضـان عبدالرحمن لاوند (سـيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

سالم: هذا أخي وصديقي مساعد جاء مع أبي بدعوة مني.

سعيد: أهلاً وسهلاً بك يا أخ مساعد..

مساعد: أهلا بك..

أبو سالم: لعلنا لم نقطع عليكما حواركما؟

سالم: كلا يا أبي فقد انتهينا منه قبيل دخولكما.. أليس كذلك يا سعيد؟

سعيد: بلى.. وسأحاول أن أفعل شيئاً من أجله.

أبو سالم: من أجل من؟

سعيد: من أجل موظف عندي كنت أشكوه إلى الأخ سالم. وقد اتفقنا على حل لمشكلته.

أبو سالم: الحمد لله..

مساعد: ما دام الأمر كذلك فإن في وسعنا العودة إلى الموضوع الذي دعينا من أجله..

سالم: أعتقد أن في وسعنا العودة إليه.

مساعد: هل تعلم يا سالم أنني شخصياً عدت إلى تلاوة الآيات التي تقص علينا قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة وحاولت أن أتدبرها ما استطعت استعداداً مني للمشاركة في بحث الموضوع.

سعيد: وما هو الموضوع؟

أبو سالم: إنه خاص بقصة آدم عليه السلام وما ترمز إليه.

سعيد: هذا موضوع جليل.. نسمع من سالم ما عنده.

سالم: الحقيقة أن أول ما لفت نظري في القصة ظاهرة المفاجأة في خلق آدم عليه السلام.

مساعد: وكيف ذلك يا سالم؟

سالم: أوَليس أن الله سبحانه وتعالى قد ألقى خبر خلقه لآدم على أساس أنه مخلوق ممتاز إذ اعتبره خليفة له في الأرض.

أبو سالم: صدقت.. فقد كان الخبر مفاجأة أحتاج معها الملائكة إلى التفكير الجدي في الموضوع. فقد راحوا يتساءلون على سبيل الاستفهام قائلين:" أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ"؟

مساعد: والتساؤل هنا طبيعي لأن مقاييس الملائكة آنذاك كانت غريبة عن الأبعاد الجديدة والوظيفة الجديدة التي جعلها الله عز وجل للمخلوق الجديد. فجاء الجواب من قبله تبارك وتعالى:" إِنِّيَ أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ "..

سالم: ثم جاء التوضيح المرتقب بصورة طبيعية من قبل الملائكة " وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ"..

سعيد: حسن جداً.. الآن جاء الجواب وعرفت الملائكة أن هذا المخلوق الجديد يمتاز بما لا تمتاز به أية مخلوقات أخرى أشارت إليها الملائكة حين قالت قبل ذلك بقليل. " أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء " لكن هذا الجواب يضع آدم عليه السلام أو الإنسان في مرتبة عالية جدا مبرأة من كل العيوب والأخطاء..

مساعد: المهم أن نتابع فصول القصة.. لقد ذكر الوحي السماوي أن الله عز وجل قد طلب من الملائكة أن يسجدوا لآدم كرمز للامتياز الذي امتاز به من سواه من المخلوقات فسجدوا له.

سالم: لكن صورة آدم أبي البشر لا تقف عند هذه الأبعاد وحسب إن لها وجها مقابلاً يجعلها ذات طرفين متعارضين تماماً.. وقد رمز القرآن الكريم إلى الوجه المقابل فيما يلي من الآيات حين قال: " إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ " هكذا بدا إبليس الوجه المقابل الذي جاء وصفه في أكثر من مكان واحد في كتاب الله فكان أبو البشر بذلك هدفاً لوسوسته وهمساته وإغراءاته التي هي الامتحان الخالد والفتنة الدائمة لمدى وعيه بامتيازه وارتباطه بإيمانه وتمسكه بالسلوك الذي يمليه الإيمان عليه.

أبو سالم: صدقت يا سالم.. وقد جاء الامتحان الذي رمز إلي هذه الظاهرة في قوله تبارك وتعالى: " وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ.. فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ "..

سالم: صحيح يا أبي وهذا الامتحان الذي لم يستطع آدم عليه السلام أن يصمد أمامه رغم أن ما حرم عليه وعلى زوجه أن يقرباه هو شيء تافه أمام نعمة الإيمان والامتياز الذي استحق عليه الإنسان سجود الملائكة له. حتى هنا يشعر الواحد منا وكأنه أصيب بخيبة أمل ثم يتساءل: هل في مخالفة آدم وزوجه لله عز وجل بشأن الشجرة المحرمة ما يعوض عن الحياة الهنيئة في الجنة؟ وتتضاءل قيمة الإنسان وتكاد حاله هذه أن تدخل اليأس إلى القلوب. ويهبط آدم وزوجه إلى الأرض ليواجه عداوة إبليس المستمرة ويعاني إحساسه بالضعف أمام فتنته.

مساعد: لكن الروعة يا سالم والعظمة في قصة الخلق تأتي بعد ذلك.

سالم: صدقت.. صحيح أن آدم وزوجه قد هبطا إلى الأرض.. وصحيح أنهما وأبناءهما وجدوا أنفسهم أمام عدو عنيد لكن باب العودة إلى الامتياز فتح مرة أخرى على نحو كملت به صورة الإنسان في الدنيا. فآدم نبي صالح ورجل يطوي في نفسه فطرة طيبة مؤمنة ويمتاز بامتيازات كثيرة رغم الضعف الذي اتصف به. وفي وسعه أن يتحرر من هذا الضعف مستعيناً بما يملك من فطرة الإيمان وامتيازات المعرفة عن طريق التوبة إلى الله فكان قوله عز وجل: " فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ** وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ "..

سعيد: أما وقد سمعنا تعليقكم على قصة آدم عليه السلام فهل لكم أن تقولوا لنا باختصار ما هو الغرض من هذه القصة؟

ابو سالم: أعتقد أن الغرض منها هو حكاية واقع الإنسان بما فيه من احتمالات الهداية والضلال مع فتح باب التوبة واسعاً أمامه في كل وقت شرط أن تكون التوبة جدية صادقة.

سعيد: لكن الإنسان قد يخطيء فيتوب ثم يضعف مرة أخرى فيخطيء فهل تصح توبته للمرة الثانية؟

مساعد: في رأيي أنا شخصياً أن التوبة مقبولة لأن الضعف صفة ملازمة للإنسان " وَخُلِقَ الإنسان ضَعِيفًا " إن التوبة لا تكون مقبولة حين يكون إصرار على الخطأ ومكابرة في ارتكاب الذنوب واستهتار قاصد بأوامر الله.

سالم: وأنا شخصياً أرى رأي أخي مساعد إن قول الله عز وجل " اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ " إعلان عن استمرار العداوة بين الإنسان وإبليس وبالتالي إعلان عن استمرار الفتنة التي يتعرض لها الإنسان الذي يتصف بصفات مختلفة منها الضعف. لقد خلقنا خطائين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإذا استغفرنا صادقين غفر الله لنا.

مساعد: حسن يا سالم.. قل لي الآن وقد تعرضنا لقصة عليه السلام كما جاءت في سورة البقرة ما الذي جعلك فيها تغير رأيك في الناس وتعيد النظر فيهم؟

سالم: قلت لك يا مساعد: كنت في البداية من التزمت بحيث لا أتسامح مع المخطىء أبداً. كنت أرى الإنسان في خيالي كائناً فوق الإنسان الواقعي.. حتى إذا عرفت الفتن التي فتن بها أنبياء ورسل صلوات الله وسلامه عليهم أدركت أنني ظالم للإنسان وأنني أطالبه بما لا حق لي بمطالبته به. لقد بدأت منذ فترة قريبة أشعر بضعفه وأقدر الظروف الصعبة التي تحيط به وأدرك أن الوسيلة العظمى لإصلاحه هي تلك التي جاء بها الإسلام. أي تلك التي تفتح له باب العودة إلى الله ما دام صادق الإيمان حسن العقيدة.

أبو سالم: كأنك يا بني تشير إلى المبدأ التربوي الحديث الذي يقرر بأن الوسيلة الى إعداد الإنسان هي في إقرار مبدأ " التجربة والخطأ " فهل هذا ما تقصد إليه؟

سالم: قد يكون في مبدأ " التجربة والخطأ " بعض مفهومات التربية الإسلامية لكن العملية التربوية في الإسلام أكثر فهماً للإنسان وأصدق استيعاباً لمشكلاته وأقدر على توجيهه الوجهة الصالحة.

سعيد: كيف ذلك يا سالم؟

سالم: ذلك لأن الإسلام يقرر بأن الناس كلهم يولدون على الفطرة. والفطرة هي التي جاء دين الله على صورتها واذاً فالناس في الأساس طيبون صالحون.. وهذا يعني أن النظرة الخلقية في الإسلام نظرة متفائلة تثق بالإنسان من الناحية المبدئية. فإذا فسد بعد ذلك بحكم البيئة أو بعوامل أخرى فالفساد عارض يمكن أن يتحرر منه ويعود إلى فطرته الأولى. هكذا أخطأ آدم عليه السلام ثم تاب الله عليه وأخطأ كل من داوود وسليمان وموسى وغيرهم وتاب الله عليهم.. ونخطىء نحن ويتوب الله علينا.. وفي رأيي أنه ليس هناك ما هو أعظم تكريماً للإنسان واحتراماً لفطرته وثقة بها من هذا التعليم الديني العظيم.. المهم دائماً هو العودة إلى الماضي في صورته الصحيحة التي عرضنا لها في حوار اليوم.

موسيقى نهاية..